منهج التأليف عند أحمد تيمور باشا في كتاب الأمثال العامية

أ. **حازم إمام**

مستخلص

يتناول هذا البحث منهج التأليف عند «أحمد تيمور باشا» في كتابه «الأمثال العامية» من حيث اللغة بمستوييها: اللغة العامية لمادة الكتاب الأصلية، واللغة الفصيحة في شرحها، والمقاربة بين الأدبين: الأدب الشعبي والأدب الرسمي من حيث اللفظ والمعنى والقيمة، وكذلك منهجية ترتيب أبواب الكتاب وأثرها في حصر المادة الشفاهية خلال عملية التأليف، والتسهيل على القارئ للوصول إلى ما يريد خلال عملية القراءة، ونتيجة المنهج الذي اتبعه المؤلف في هذا الكتاب الرائد في مجاله، وبعض الدراسات اللغوية والأدبية التي يمكن تطبيقها عليه.

الكلمات المفتاحية: الأمثال العامية، الأدب الشعبي، الأدب الرسمي، منهج المؤلف، المستوى اللغوي، منهج الترتيب.

Abstract

This research explores the methodology of authorship used by "Ahmed Taymour Pasha" in his book "Al-Amthal Al-Amiyah" (The Colloquial Proverbs), focusing on two language levels: the colloquial language of the book's original material and the classical language used for explanation. It also delves into the comparison between Folk literature and formal literature in terms of wording, meaning, and value. The study further examines the method of organizing the book's chapters and its impact on compiling oral material during the authorship process, facilitating readers' access to the content. Additionally, the research highlights the outcome of the author's methodology in this pioneering work and discusses certain linguistic and literary studies that could be applied to it.

Keywords: Colloquial proverbs, Folk literature, Formal Literature, Author's Methodology, Language Level, Organizational Method.

1- مقدمة:

نحاول في هذا البحث إلقاء الضوء على المنهج الذي اتبعه أحمد تيمور باشا في تأليف كتابه الرائد في مجاله «الأمثال العامية» وكيف حول المادة الشعبية الشفاهية إلى مادة مكتوبة، وما منهجه في التعامل معها على المستوى اللغوي، وفي شرحه وترتيبه لها.

ومن ناحية أخرى نناقش منهجه من حيث الطبقة الاجتماعية، ما بين الطبقة العامة التي أنشأته وتداولته، والطبقة المثقفة المهتمة بالعلم والأدب التي يقدم لها الكتاب، وكذلك علاقة هذا النوع من الأدب الشعبي بالأدب الرسمي من حيث المضمون والمعنى.

2- المستوى اللغوي:

اللغة هي المادة التي تشكل العمل الأدبي، واختيار المؤلف «الأمثال العامية» موضوعًا لكتابه يعني أن المادة الأصيلة لهذا الكتاب تتشكل باللغة العامية التي يفهمها جميع طبقات الشعب، فيقول عبد الله بن محمد بن خميس: «الأدب الفصيح بما له من مميزات وخصائص في لغته وأسلوبه يرتفع نسبيًّا عن مدارك الطبقة الشعبية العامة، وليس في مقدوره مهما حاول أصحابه الدنو والليونة أن يكسب الشعب طابع الفهم والإحاطة، ومن ثم التنوير والتأثير... بخلاف الأدب الشعبي؛ فإن له النفوذ الطبيعي على كل الطبقات»[i].

ونرى هنا وضع الأدب الفصيح مقابل الأدب الشعبي باعتبار أن اللغة العامية سمة من سمات الأدب الشعبي، وكما قلنا من قبل إن مادة الكتاب محل البحث عامية اللغة، فإن المؤلف كان يتلاقى مع الفصحى في شرحه للكتاب في موضعين، الأول عندما يعيد الألفاظ والتراكيب العامية إلى أصلها الفصيح، فمثلًا عندما أورد مثل «اتعلم السحر ولا تعمل بُوش» قال: «الشين في الأواخر من علامات النفي عندهم أو تأكيد له، وهي مقتضبة من لفظ (شيء) فمعنى بوش (به شيء)».[ii]

والموضع الثاني: في شرحه للمثل وذكر المراد منه، ويمكن أن نعد ذكر المراد من المثل هو مجرد تحويل العبارة العامية الأصلية للمثل إلى عبارة فصيحة، فعلى سبيل المثال في المثل السابق قال: «والمراد تعلم السحر ولا تعمل به» ثم راح يورد أسباب تعلمه والنصيحة بعدم

العمل به وما يوافقه في المعنى من الأدب الرسمي كما سيأتي، وكذلك مثل «اتغدى به قبل ما يتعشى بك» قال: «أي افترسه قبل أن يفترسك»[iii] وكذلك يمضي المؤلف في كتابه يشرح الأمثال العامية بعبارات فصيحة ويبين معاني بعض الألفاظ بين العامية والفصحى.

ولعل الكاتب قصد إلى هذا النهج في رد الظواهر اللغوية العامية إلى أصلها الفصيح لعدة أسباب:

- التأكيد على أن العامية مستوى من مستويات اللغة العربية الفصيحة، وذلك لأن هذا الكتاب يعد أسبق الكتب في مجاله فقد قال خليل ثابت في مقدمة الطبعة الثانية للكتاب: «عني المغفور له العلامة السيد أحمد تيمور باشا بجمع تلك (الأمثال العامية) بل كان أسبق العلماء واللغويين في العالم العربي إلى العناية بجمع هذه الأمثال»[iv].
- اختلاف العاميات من إقليم إلى آخر وتطورها عبر الزمن، فإن بعض الأساليب والألفاظ الشائعة في منطقة جغرافية قد يجد أهل منطقة أخرى صعوبة في فهمها، وكذلك يمكن لبعض الأساليب والألفاظ أن يموت بمرور الزمن ويشيع غيره في عامية المنطقة الجغرافية نفسها، وهذه طبيعة اللغات بجميع مستوياتها، لكن الفارق بين المستوى العامي والفصيح، أن المستوى الفصيح رصدت قواعده في كتب اللغة ودونت ألفاظه في المعاجم، وهذا ما لم يحظَ به المستوى العامي، فبرد المؤلف الظواهر العامية إلى أصلها الفصيح يضمن لها البقاء وإن ماتت في التداول بين الناس.
- كون الكتاب مقدمًا إلى طبقة المشتغلين بالعلم والأدب؛ إذ إن المادة العامية للأمثال متداولة بين جميع الطبقات، لكن المشتغلين بالعلم والأدب يحتاجون إلى مادة مجموعة، فقد قال خليل ثابت في مقدمة الطبعة الثانية: «وكان لا بد للجنة أمام إلحاح المشتغلين بالعلم والأدب، وسائر الفنون والبحوث الطريفة، أن تستجيب إلى طلبهم إعادة طبع هذا الكتاب، ولا يحرم من اقتنائه من فاته طبعته الأولى» وقال أيضًا: «وأخيرًا وفت اللجنة ما عاهدت الله عليه من خدمتها للعلم والأدب وتحقيق رغبة الأدباء والكتاب في إخراج هذا التراث الأدبي الخطي التيموري من كنوزه الدفينة، إلى عالم النور لتسد به ما تنقصه المكتبة العربية»[v].

3- تمثلات العلاقة بين الأدبين الشعبي والرسمي:

اتبع أحمد تيمور باشا في تأليف كتابه منهجًا تتجلى فيه العلاقة بين الأدبين: الشعبي والرسمي، وتمثلت هذه العلاقة بوضوح في نقطة نسبة النص إلى صاحبه، فإن من سمات الأدب الشعبي

أنه مجهول المؤلف لا يعرف قائله ولا سيما الأمثال، في المقابل فإن الأدب الرسمي هو الأدب المعلوم مؤلفه، ومن هنا حاول أحمد تيمور باشا تقريب الأمثال العامية إلى الأدب الرسمي، فإذا كان لم يكن في استطاعته أن ينسب هذه النصوص إلى أشخاص، فإنه كان يرجع معانيها إلى نصوص من الأدب الرسمي معلومة المؤلف، فمن بين ثلاثة آلاف ومئة وثمانية وثمانين مثلًا (3188) استعان في شرح مئة وسبعة وتسعين مثلًا (197) منها بنصوص منسوبة من الأدب الرسمي بين شعرٍ وأقوال وغيرها بنسبة بلغت 6.1 %، فعلى سبيل المثال بعد أن أورد المثل القائل «هم يضحك وهم يبكي» قال: «يرادفه أو قريب منه قول المتنبي: وشر المصيبة ما يضحك»[vi]، هذا فضلًا عن الأمثال التي استعان في شرحها أو نسب معناها إلى أمثال فصيحة غير منسوبة أو أبيات من الزجل والمواليا، وكأن المؤلف يريد أن يبرهن على أن هذا النوع من الأدب الشعبي هو وليد الأدب الرسمي، ومعانيه امتداد للآداب المنسوبة معلومة المؤلف ولا يقل قيمة عنها، أو كما قال أحمد أمين: «وأن في التعابير الشعبية من أنواع البلاغة ما لا يقل شأنًا عن بلاغة اللغة الفصحى، وأن هناك من أمثلة المصريين وتعبيراتهم وزجلهم ما يعجب به عالم البلاغة، كما يعجب بامرئ القيس وزهير»[vii].

إن مجهولية المؤلف لا تعني أن النص قد نشأ بلا مؤلف، بل تعني أن النص حمل سمات جعلته يعبر عن الوعي الجمعي، فاهتمت الجماعة الشعبية بالنص ومضمونه، ونست أو تناست مؤلفه، وكذلك وجود أكثر من مؤلف لا يعني أن مجموعة أفراد اشتركوا في تأليف النص، بل يعني أن النص نتيجة تداوله شفاهيًا يعاد تأليفه كل مرة بالإضافة والحذف واستبدال الألفاظ وفق كل عصر وكل بيئة وكل لهجة، فقد يبدأ النص شعرًا معلوم القائل في الأدب الرسمي الفصيح ويتحول إلى نص نثري مجهول القائل في الأدب الشعبي العامي، أو العكس فكم من شاعر ضَمَّن أبياته أمثالًا شعبية، وهذا ما انتهجه مؤلفنا أحمد تيمور باشا في كتابه وهو محاولة التقريب بين الأدبين: الرسمي والشعبي، وما أشار إليه الدكتور أحمد مرسي في مقاله في حديث عن رأي الدكتور محمود ذهني فيقول: «أما الأدب الشعبي، فهو يعترف بداية بصعوبة وضع تعريف أو تفسير للأدب الشعبي ويرى: 1- أنه نشأ كعمل من أعمال أحد هذين الأدبين الرسمي أو العامي ثم تؤهله خصائص ذاتية كامنة فيه لأن يتحول إلى أدب شعبي. 2- أنه في حقيقته فصائل من الأدب الرسمي أو العامي استطاعت أن تتجاوز صفات خاصة في ظروف بيئية معينة أوجدت فيها شيئًا أشبه بما أطلق عليه العالم الطبيعي «دارون» اسم الطفرة التي تحقق حلقة من حلقات الارتقاء والتي يتم بموجبها التطور من فصيلة إلى فصيلة»[viii].

4- منهج ترتيب الكتاب:

عرف العرب منذ بدء التدوين مناهج عديدة في ترتيب مؤلفاتهم، منها الترتيب الموضوعي الذي ترتب فيه أبواب الكتاب حسب الموضوع، وأذكر من هذه الكتب في تراثنا العربي ديوان الحماسة لأبي تمام، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، وقد ذكر الأخير في مقدمة كتابه سبب ترتيب كتابه ترتيبًا موضوعيًّا إذ يقول: «فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال، ثم قرنت كل جنس منها إلى جنسه، فجعلته بابًا على حدته؛ ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب، ونظيره في كل باب»[ix]. إذن فالمؤلف هنا قصد إلى الترتيب الموضوعي ليسهل على القارئ الوصول إلى الخبر في الموضوع الذي يريده، ويستطيع الاطلاع على نظائره بسهولة.

كما عرف العرب الترتيب التاريخي الذي يقول عنه أحمد حسن الزيات: «أما الترتيب التاريخي فيساعد على تتبع التدرج الفني للشاعر، ويعين على معرفة أثر الزمن في نفس الشاعر ونظراته إلى الحياة، وربما كان الترتيب الذي سار عليه ابن خالويه أقرب إلى الترتيب التاريخي»[x]. ويتضح هنا أن الترتيب التاريخي الغرض منه إيضاح تدرج الفن الأدبي وتطوره.

وكذلك عرف العرب الترتيب على حروف المعجم، بل يعد من مناهج الترتيب التي شاعت في تراثنا العربي وخصوصًا في دواوين الشعراء والمعاجم ورجال الحديث، وكان الغرض من هذا الترتيب هو سهولة البحث في الكتاب، فقد نقل أكرم العمري في كتابه «بحوث في تاريخ السنة المشرفة» عن ابن حبان في كتابه الثقات قوله: «ونقصد في نظر أسمائهم المعجم ليكون أسهل عند البغية لمن أراد» وعن ابن عدي الجرجاني قوله في مقدمة كتابه: «وصنفته على حروف المعجم ليكون أسهل على من طلب راويًا منهم» وعن الحافظ الأصبهاني في مقدمة كتابه «وابتغى أن يكون ذلك مرتبًا على حروف المعجم ليسهل الوقوف عليه فأجبته إلى ذلك»[xi].

وهذا المنهج الأخير هو الذي اختاره مؤلفنا أحمد تيمور باشا في كتابه، فرتب أبوابه على حروف المعجم من الحرف الأول للمثل، وهذا جعل وصول القارئ إلى أي مثل يريده سهلًا، ولكنه أدى كذلك إلى تكرار المثل في أكثر من باب باختلاف رواية المثل، فعلى سبيل المثال جاء في باب الألف مثل «آخر الحياة الموت»، وفي باب الكاف أورد المثل نفسه بلفظ «كلها عيشة وآخرها الموت» وفي كلا البابين أشار إلى المثل الآخر عند ذكر أحدهما، وعلى الرغم من أن أحمد حسن الزيات يرى أنه يمكن الاستغناء عن الترتيب على حروف المعجم بفهرس

يسهل على القارئ الوصول إلى ما يريد إذ يقول: «ذلك أن الترتيب على حسب القوافي ليس له قيمة فنية ما، وليس له من فائدة سوى سهولة العثور على القصيدة في الديوان، ويغني عن ذلك فهرس يوضع في آخر الكتاب لتسهيل المراجعة»[xii]، فإننا نرى لاختيار الترتيب على حروف المعجم في كتاب الأمثال العامية سببًا آخر غير تسهيل المراجعة على القارئ، وهذا السبب هو رغبة الكاتب في استقصاء الأمثال العامية وحصرها في الكتاب، فكما ذكرنا سابقًا أن هذا الكتاب يعد رائدًا في مجاله وله السبق في جمع الأمثال العامية.

ورغم ذلك يظل ترتيب هذا الكتاب حقلًا خصبًا للباحثين لإعادة ترتيبه من حيث شهرة الأمثال بمقارنته مع الأمثال المتداولة على الألسن في عصرنا، أو من حيث الأسلوب كالأمثال العامية التي جاءت على صيغة أسلوب الشرط، أو من حيث البيئة كأمثال الريف والمدن، أو من حيث الموضوع، وغيرها من طرق الترتيب التي يمكن أن تفتح المجال لدراسات لغوية وأدبية في هذا الكتاب.

5-خاتمة:

في نهاية البحث يمكن أن نجمل نتائجه في التالي:

1- استخدم المؤلف منهج الجمع بين العامية في أصل المادة الشعبية وبين الفصحى في شرحها، للتأكيد على أن العامية مستوى من مستويات اللغة العربية مثلها مثل الفصحى.

2- هذا المنهج اللغوي ضمن الحفاظ على الأصل العامي للأمثال، واستمرار فهمها عن طريق الفصحى المرصودة في كتب اللغة والمعاجم.

3- جعل هذا المنهج للكتاب قبولًا عند العامة والمثقفين والمشتغلين بالعلم والأدب.

4- قَصْدُ المؤلف إلى استخدام نصوص الأدب الرسمي في شرح الأمثال العامية أكد على العلاقة بين الأدب الشعبي والأدب الرسمي وأن الأدب الشعبي وليد الأدب الرسمي ومعانيه امتداد للثقافة الرسمية وبلاغته لا تقل قيمة عن بلاغة الأدب الرسمي.

5- منهج ترتيب أبواب الكتاب كان مناسبًا لكتاب رائد في مجاله الغرض منه حصر الأمثال العامية وتسهيل وصول القارئ إليها.

6- الكتاب حقل خصب للعديد من الدراسات اللغوية والأدبية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أمين، أحمد، «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية»، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013.

2- تيمور، أحمد: «الأمثال العامية»، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الثانية، 1956.

3- الزيات، أحمد حسن، مجلة الرسالة، ع 842.

4- سمعون، سليمان: «النقد الألسني للأدب الشعبي وعلاقته بالأدب الرسمي (دراسة في التمثلات المتبادلة)» مجلة السياق مج 7، ع2 (2022).

5- ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد، «العقد الفريد»، دار الكتب العلمية، بيروت، المكتبة الشاملة.

6- العمري، أكرم، «بحوث في تاريخ السنة المشرفة» دار بساط، بيروت، الطبعة الرابعة، المكتبة الشاملة.

7- مرسي، أحمد علي، «الأدب الشعبي العربي المصطلح وحدوده» مجلة الفنون الشعبية، ع21، (أكتوبر 1987).